وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين*

* المؤمنون: ٢٠*

بقلم الدكتور: زغلول النجـار

هـــــذه الآية الكريمة جاءت في نهاية الخمس الأول من سورة المؤمنون وهي سورة مكية، وآياتها(١١٨) بعد البسملة، ويدور محورها الرئيسي حول قضية الإيمان بالله، وصفات المؤمنين بألوهيته، وربوبيته، ووحدانيته، ودلالات ومؤشرات التوحيد الخالص لله، وتنزيهه(سبحانه وتعالى) عن كل وصف لا يليق بجلاله، ومقارنة هذا الإيمان الصادق بأضداده من الشرك بالله أو الكفر به(تعالى الله عن ذلك الضلال علوا كبيرا).
وقد سميت السورة باسم(المؤمنون) إشادة بهم، وتأكيدا على فضائلهم، وتمييزا لهم عن غيرهم ممن استزلهم الشيطان فأغرقهم في أوحال الشرك أو الشك أو الكفر بالله.

و من الآيات الكونية في صورة المؤمنون قوله تعالى : و شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن و صبغ للآكلين في وصف شجرة الزيتون بأنها تنبت بالدهن وصبغ للآكلين، والإشارة إلى شجر الزيتون الذي ينبت في طور سيناء بصفة خاصة.

ذكر الزيتون وزيته فى القرآن الكريم:

جاء ذكر الزيتون وزيته في سبعة مواضع من القرآن الكريم على النحو التالي:
(١).. وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون. (الأنعام:٩٩).

(٢) وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين*(الأنعام:١٤١).

(٣) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (النحل:١١)

(٤) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين* (المؤمنون:٢٠).

(٥) الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم(النور:٣٥)

(٦) فلينظر الإنسان إلى طعامه* أنا صببنا الماء صبا* ثم شققنا الأرض شقا* فأنبتنا فيها حبا* وعنبا وقضبا* وزيتونا ونخلا*..(عبس:٢٤ -٣٢).

(٧) والتين والزيتون* وطور سينين* وهذا البلد الأمين*..(التين:١ -٣)
وفي هذه الآيات الكريمة من سورة التين يقسم ربنا تبارك وتعالى - وهو الغني عن القسم - بكل من التين والزيتون وطور سنين.
أي الجبل الذي نودي موسى(عليه السلام) من جانبه في شبه جزيرة سيناء(أي طور سيناء) والبلد الأمين(أي مكة المكرمة أشرف بقاع الأرض على الإطلاق) على أن الله تعالى قد فطر الإنسان على حب الإيمان وكراهية الكفر، وعلى حب الخير والنفور من الشر، وحب مكارم الأخلاق وكراهية الإسفاف في الحديث أو السلوك، وحببه في الالتزام بذلك كله حتى يصل إلى درجات من الكمال ترفعه إلى ما فوق منازل الملائكة إذا التزم بذلك، ولكن إذا انحرف الإنسان عن الفطرة التي فطره خالقه عليها، وانغمس في وحل الشرك أو الكفر أو الضلال والانحلال الأخلاقي فإنه ينتكس انتكاسة تهوى به إلى أسفل السافلين.

والتين قد أشير إليه في القرآن الكريم كله مرة واحدة فقط في هذه السورة المباركة وحدها.
وكل آية من هذه الآيات السبع تحتاج في شرح دلالتها العلمية إلى معالجة خاصة، ولكني سوف أقصر الحديث هنا على الآية العشرين من سورة(المؤمنون)، وقبل البدء في ذلك لابد من استعراض سريع لأقوال عدد من المفسرين القدامى والمعاصرين في شرح هذه الآية الكريمة.

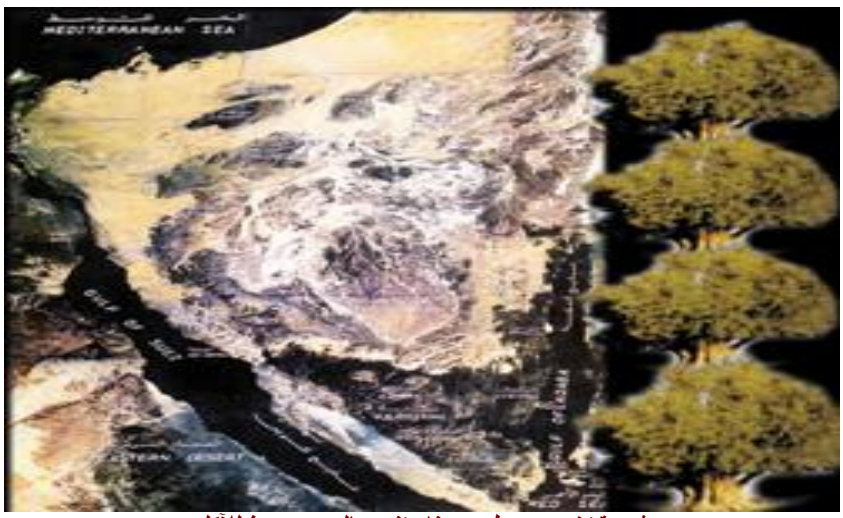

وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين

من أقوال المفسرين:

في تفسير قوله(تعالى):
وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين*(المؤمنون:٢٠)

* ذكر الطبري(رحمه الله) ما مختصره:(وشجرة تخرج من طور سيناء) وشجرة منصوبة عطفا على(جنات) يعني بها شجرة الزيتون(من طور سيناء) جبل.... مبارك نودي منه موسى - عليه السلام - واختلف فيه(تنبت) تثمر(بالدهن) و(صبغ للآكلين) ما يأتدمون به.
* وذكر ابن كثير(رحمه الله) ما مختصره:(وشجرة تخرج من طور سيناء) يعني الزيتونة، والطور هو الجبل، وقال بعضهم إنما يسمى طورا إذا كان فيه شجر، فإن عرى عنها سمي جبلا لا طورا والله أعلم

*(وطور سيناء) هو طور سينين، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجبال التي فيها شجر الزيتون، وقوله(تنبت بالدهن) أي تنبت الدهن...، ولهذا قال:(وصبغ) أي أدم ـ قاله قتادة ـ(للآكلين) أي فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة) وروي عبد بن حميد في مسنده عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(ائتدموا بالزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة).

* وجاء في تفسير الجلالين(رحم الله كاتبيه) ما مختصره: (و) أنشأنا(شجرة تخرج من طور سيناء) جبل، بكسر السين وفتحها، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة أي: لأنه اسم علم على البقعة التي فيها جبل الطور(تنبت) بضم التاء وكسر الباء من الرباعي أنبت، وفي قراءة بفتح التاء وضم الباء من الثلاثي نبت(بالدهن) الباء زائدة على الأول، ومعدية على الثاني، وهي شجرة الزيتون،(وصبغ للآكلين) عطف على الدهن أي: إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو: الزيت.

* وجاء في الظلال(رحم الله كاتبها برحمته الواسعة) ما نصه:(وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين).. وهي من أكثر الشجر فائدة بزيتها وطعامها وخشبها. وأقرب منابتها من بلاد العرب طور سيناء. عند الوادي المقدس المذكور في القرآن. لهذا ذكر هذا المنبت على وجه خاص، وهي تنبت هناك من الماء الذي أسكن في الأرض وعليه تعيش.

* وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن(رحم الله صاحبها) ما نصه:(وشجرة تخرج من طور سيناء) أي وأنشأنا لكم شجرة تخرج من الجبل المعروف بهذا الاسم وهو جبل المناجاة(تنبت بالدهن) تنبت ملتبسة بالدهن ومصحوبة به.... والدهن عصارة كل شيء ذي دسم، والمراد به هنا: زيت الزيتون، وقرء تنبت بضم التاء، من أنبت بمعنى نبت، أو من أنبت المتعدي بالهمزة، كأنبت الله الزرع، والتقدير: نبت جناها مصحوبا بالدهن(وصبغ للآكلين) أي وبإدام للآكلين، والصبغ والصباغ ـ بالكسر فيهما ـ: الإدام لأنه يصبغ الخبز، وأصل الصبغ ما يلون به الثوب، فكان الزيت إداما يؤتدم به كما كان دهنا يدهن به ويسرج منه. والتغاير بين المعطوف والمعطوف عليه باعتبار الصفات لا باعتبار الذات.

* وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم(جزاهم الله خيرا) ما نصه: وخلقنا لكم شجرة الزيتون التي تنبت في منطقة طور سيناء، وفي ثمارها زيت تنتفعون به، وهو إدام للآكلين.

وجاء في تعليق الخبراء بالهامش ما يلي:... تقرر هذه الآية الكريمة أن شجرة الزيتون من ضمن النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وعدد بعضها في الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية إذ أنها من الأشجار الخشبية التي تعمر طويلا لمدد تزيد على مئات السنين، فلا يأخذ أمرها جهدا من الإنسان إنما تثمر ثمارا مستمرة طبيعية.. كما تتميز بأنها دائمة الخضرة جميلة المنظر. وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائية جيدة، فيه نسبة كبيرة من البروتين.

كما يتميز بوجود الأملاح الكلسية، والحديدية، والفسفورية، وهي مواد مهمة وأساسية في غذاء الإنسان، وعلاوة على ذلك فإن الزيتون يحتوي على فيتامين(ا) وفيتامين(ب). ويستخرج من الثمار زيت الزيتون الذي يحتوي على نسبة عالية من الدهون السائلة، وهذا الزيت يستعمل بكثرة في التغذية.

وتضيف الأبحاث الطبية إلى زيت الزيوت فوائد عديدة، فهو يفيد الجهاز الهضمي عامة.. والكبد خاصة، وهو يفضل جميع أنواع الدهون الأخرى نباتية أو حيوانية، إذ لا يسبب أمراضا للدورة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهن، كما أنه ملطف للجلد، إذ يجعله ناعما ومرنا، ولزيت الزيتون استعمالات أخرى كثيرة صناعية، إذ تحضر منه بعض المركبات، ويدخل في إنتاج أفضل وأحسن أنواع الصابون، وغير ذلك من مختلف الصناعات الغذائية والطبية.

* وذكر صاحب صفوة التفاسير(جزاه الله خيرا) ما نصه:(وشجرة تخرج من طور سيناء) أي ومما أنشأنا لكم بالماء أيضا شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل الطور وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى(تنبت بالدهن) أي تنبت الدهن أي الزيت الذي فيه منافع عظيمة(وصبغ للآكلين) أي وإدام للآكلين، وسمي صبغا لأنه يلون الخبز إذا غمس فيه، فقد جمع الله في هذه الشجرة بين الأدم والدهن....

من الدلالات العلمية للآية المباركة:

نظرا لتميزها الواضح فإن شجرة الزيتون أصبحت تصنف اليوم ضمن رتبة خاصة بها من رتب النباتات المزهرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعرف باسم رتبة الزيتونيات(ORDEROLEALES) ، بعد أن كانت تجمع من قبل في رتبة أخرى تعرف باسم رتبة الملتفات (OrderContortae) وتضم هذه الرتبة عائلة واحدة هي العائلة الزيتونية (FamilyOleaceae) التي تقسم إلى اثنتين مما هو تحت هذه العائلة هما: تحت العائلة الزيتونية (SubfamilyOleoideae) وتحت العائلة الياسمينية(Subfamilyjasminoideae).

* وتضم أشجار العائلة الزيتونية٢٨ جنسا، وما بين ٥٠٠ الى ٦٠٠ نوع من أنواع النباتات المزهرة التي تنتشر انتشارا واسعا في كل أنحاء الأرض ما عدا المناطق المتجمدة والباردة، إذ تنتشر في كل من المناطق المعتدلة والمدارية بصفة خاصة، وتكثر ـ بالذات ـ في حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي جنوب غربي آسيا، وعلى الرغم من هذا الانتشار الواسع إلا أن أشجار هذه العائلة نادرا ما تكون هي الأشجار السائدة في المنطقة الواحدة، ومن هذه الأشجار ما هو دائم الخضرة كشجرة الزيتون، ومنها ما هو متساقط الأوراق.

وتضم العائلة الزيتونية أشجارا خشبية، كما تضم عددا من الشجيرات، وبعض المتسلقات، ولكن تتميز كلها بأوراقها الريشية المتقابلة أو المتبادلة، البسيطة أو المركبة، والتي يمكن أن تكون لها أذينات صغيرة عند قاعدة الورقة، والثمرة في أفراد العائلة الزيتونية إما أن تكون حسلية كما هو الحال في ثمرة الزيتون(وهي ثمرة عصارية، حقيقية، تكونت من نمو مبيض الزهرة فقط، ولها بذرة صلبة في قلبها)، وقد تكون الثمرة لبية أو علبية كما هو الحال في بعض شجيرات الزينة والأسوار التابعة لهذه العائلة، والبذور فيها إندوسبيرمية أي مغطاة بطبقة من الأنسجة التي تمثل غذاء للجنين الذي يأخذ شكلا مستقيما في العادة.

والنباتات المنطوية في الرتبة الزيتونية لها من الأهمية الاقتصادية والجمالية ما يتمثل في شجر الزيتون بأنواعه وأصنافه المختلفة، وثمره وزيتة وخشبة، كما يتمثل في شجر الدردار (Ashes) المشهور بأخشابه الصلبة والشديدة التماسك، وفي عدد من الشجيرات والمتسلقات ذات العطور العبقة من مثل البنفسج(lilacs) والياسمين بأنواعه المختلفة (Jasminum=Jasmines). وأشجار الزيتون تتميز بأنها أشجار معمرة حيث يمكن للشجرة الواحدة أن تعيش لأكثر من ألفي سنة، وينبت في مصر صنفان من نوع الزيتون المعروف خطأ باسم الزيتون الأوروبي (Oleaeuropaea) والذي كان من الأصح تسميته باسم الزيتون السينائي (Oleasinaensis) لأن زراعته انتقلت أصلا من شبه جزيرة سيناء إلى باقي أجزاء حوض البحر الأبيض المتوسط.

وأحد هذين الصنفين يعرف باسم الزيتون التفاحي، ويتميز بثمرته الكبيرة الحجم نسبيا، والقليلة الزيت نسبيا، ولذلك يصلح أكثر للتخليل، وتكثر زراعة هذا الصنف في واحات صحراء مصر الغربية وفي منطقة الفيوم.

أما الصنف الآخر فيعرف باسم الزيتون الشملالي ويمتاز بثماره الصغيرة الحجم نسبيا والغنية بالزيت ولذلك يصلح للعصر واستخراج ما به من زيت، وتكثر زراعته في شبه جزيرة سيناء وعلى طول سواحل البحر الأبيض المتوسط.

والآية القرآنية الكريمة التي اتخذناها عنوانا لهذا المقال تشير بوضوح إلى شجرة الزيتون التي تؤكل ثمارها، ويؤتدم بزيتها وبما فيه من منافع، وقد جاءت الإشارة إليها منسوبة إلى طور سيناء مما يرجح أن هذه المنطقة هي أصل منبت شجرة الزيتون، كما ترجح وجود ميزات للصنف من الزيتون الذي ينبت في تلك المنطقة تميزه عن غيره، وفي ذلك يقول ربنا(تبارك وتعالى):

وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (المؤمنون:٢٠)

و(تنبت بالدهن) أي تنبت ثمارها متلبسة بالدهن وهو زيت الزيتون،(وصبغ للآكلين) أي: إدام وطعام لهم، سمي صبغا لكونه إداما، ولأنه يصبغ الخبز إذا لامسه، ولعل في ذلك إشارة إلى ما هو غير الدهن من مئات المركبات الكيمائية المهمة التي مكن الله(تعالى) شجرة الزيتون من استخلاصها من ماء وتربة الأرض، ونقلها في العصارة الغذائية، وتخليقها في أوراقها وثمارها، مما تعجز أكبر المصانع التي بناها الإنسان عن تحقيقه. لذلك امتدح ربنا (تبارك وتعالى) كلا من شجر الزيتون وزيته في ستة مواضع أخرى من القرآن الكريم، وأقسم بالتين والزيتون في موضع منها.

وشجرة الزيتون هي شجرة صغيرة، ولكنها شجرة معمرة، دائمة الخضرة، تتحمل الجفاف بشكل كبير، وثمرتها من أهم ثمار الزيوت النباتية، إذ يشكل زيتها ما بين ٦٠%، ٧٠% من وزن الثمرة في المتوسط، ويتكون زيت الزيتون من عدد من المركبات الكيميائية المهمة، والتي منها مركبات الجليسرين والأحماض الدهنية المعروفة باسم الجليسريدات(Glycerides). ويكون الحمض الدهني نسبة كبيرة من وزن الزيت، ولذلك فإن صفات كل زيت تتوقف إلى حد كبير على نوع الحمض الدهني المكون لمركب الجليسريدات فيه. ومن أشهر الأحماض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدهنية في الزيتون والدهون بصفة عامة ما يلي:
(١) حمض زيت الزيتون(OleicAcid).
(٢) حمض زيت النخيل(PalmaticAcid)
(٣) حمض زيت الكتان(LinoleicAcid)
(٤) حمض الشمع(StearicAcid).
(٥) الحمض الغامض(حمض المستريك)(MystricAcid).
هذا ومن المعروف أن مركبات الجليسيريدات (Glycerides) قد تكون مفردة الحامض أو مكونة من أخلاط من تلك الأحماض الدهنية، فإذا كانت ناتجة عن اتحاد الجليسرين مع حمض دهني واحد فقط سميت اسم الجليسريدات البسيطة(SimpleGlycerides) ولكن إذا نتجت عن اتحاد الجليسرين مع أكثر من حمض دهني (وهو الأمر الغالب) سميت باسم الجليسريدات المختلطة (ComplexorMixedGlycerides) وعادة ما تكون الزيوت والدهون مركبة من جليسريدات مختلطة إلا أن بعضها قد يحتوي على نسبة عالية من نوع معين من الجليسريدات البسيطة وذلك مثل زيت الزيتون الذي يحتوي على نسبة عالية من جليسريدات حمض زيت الزيتون (OLEAICACID) تتراوح بين٦٧%، ٨٤% مما ميزه عن غيره من الزيوت النباتية والدهون الحيوانية.

وبالإضافة إلى ذلك يحتوي زيت الزيتون على البروتينات وعلى نسب متفاوتة من عناصر البوتاسيوم، الكالسيوم، المغنسيوم، والفسفور والحديد، النحاس، الكبريت وغيرها بالإضافة إلى نسبة من الألياف، وتدخل هذه المكونات في بناء حوالي الألف مركب كيميائي حيوي في زيت الزيتون، كلها نافعة لجسم الإنسان وبعضها ضروري لسلامته، ومن هنا كان فضل هذا الزيت على غيره من الدهون والزيوت التي تمثل مركبات عضوية لها تركيب كيميائي متشابه فإذا بقيت سائلة عند درجة حرارة(٢٠) درجة مئوية سميت زيتا، وإذا بقيت جامدة عند نفس الدرجة سميت دهنا، ومنها الدهون المتعادلة، والشموع، والدهون المعقدة(الليبيدات المختلطة).
وأهم مصادر الزيوت النباتية هي بعض البذور الزيتية مثل بذور كل من القطن، والكتان، والسمسم،ودوار الشمس، والخروع، والفول السوداني، وفول الصويا.

لذلك يمكن الحصول على الزيوت النباتية من بعض الثمار الزيتية من مثل ثمار الزيتون، وجوز الهند، والنخيل الزيتي، أو من بعض أجنة الحبوب من مثل القمح، والذرة، والأرز.

وتستخلص الزيوت النباتية بطريقة الهرس ثم الكبس أو العصر في مكابس خاصة، وتعرف المادة الصلبة المتبقية من هذه العملية باسم الكسب الذي يستخدم علفا للحيوان لغنائه بالبروتين، وقد يستخدم ما يتخلف عن عصر بذور السمسم غذاء للإنسان.
وأفضل الزيوت النباتية على الإطلاق هو زيت الزيتون، وذلك لما أعطاه الله(تعالى) من خاصية خفض ضغط الدم، وتقليل امتصاص الجسم للكوليسترول بصفة عامة وإنقاص المعدل الكلي للكوليسترول في الدم بحوالي١٣%، وإنقاص معدل الكوليسترول الضار في الدم والمعروف باسم الكوليسترول الخفيف [LOWDENSITYLEPIDOPROTEIN(L.D.L)] بنسبة٢١% فيرفع بذلك نسبة الكوليسترول المفيد نسبيا في الدم، والمعروف باسم الكوليسترول الثقيل [HighDenitylepidoprotein(H.D.L)]
ومن الثابت طبيا أنه كلما انخفضت نسبة الكوليسترول الضار وزادت نسبة المفيد منه في الدم كلما قلت نسبة الإصابة بالجلطات القلبية خاصة الإصابة المعروفة باسم احتشاء العضلة القلبية، وعلى ذلك فإن تناول زيت الزيتون بكميات منتظمة يحمي القلب من أمراض انسداد الشرايين وهي من أكثر الأمراض انتشارا في الزمن الحاضر، خاصة في الدول الغنية التي يبالغ أفرادها في تناول الطعام إلى حد التخمة. وعلى الرغم من ذلك فقد لوحظ أن أقل نسبة إصابة بمرض الشرايين التاجية(الإكليلية) القلبية يوجد في حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة في بلدانه التي يتناول أفرادها الزيتون وزيته بكميات ثابتة ومنتظمة، ويعتبرون كلا من هذه الثمرة المباركة وزيتها مصدرا أساسيا للدسم في طعامهم مما يشير إلى الدور الفاعل لهما في الوقاية من أمراض شرايين القلب، خاصة أنه ثبت بالتحليل الدقيق احتواء كل من الثمرة وزيتها على مركبات كيميائية تمنع تخثر الدم. وانطلاقا من ذلك يوصي الأطباء كل من أجريت لهم عمليات توسعة شرايين القلب بتناول ٤ -٥ ملاعق من زيت الزيتون يوميا وبشكل روتيني كجزء من العلاج.

هذا، وقد جاء ذكر الزيتون وزيته في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وأقسم به ربنا(تبارك وتعالى) - وهو الغني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن القسم ـ وأكد علي قيمة زيته وقيمته الغذائية مما أثبتته البحوث العلمية والطبية في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وتعتبر هذه الإشارات من المعجزات العلمية للقرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة، ومن معجزات الرسول الخاتم الذي تلقاه والذي يروى عنه(صلى الله عليه وسلم) قوله:
كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة(أخرجه الإمام أحمد عن مالك بن ربيعة الساعدي مرفوعا)، وقوله (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) في نفس المعنى: ائتدموا بالزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة (رواه عبد بن حميد في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما).

وهنا يتبادر إلى الذهن سيل من الأسئلة منها: لماذا أنزل ربنا(تبارك وتعالى) هذه الآية المباركة فيما أنزل من قرآن على خاتم أنبيائه ورسله، وأنطقه بما نطق به عن شجرة الزيتون، وثمرها وزيتها؟ وللإجابة نقول: إن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل في يوم من الأيام إلى اكتشاف قيمة الزيتون وزيته فتكون هذه الآية المباركة، كما تكون أقوال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، فالحمد لله على نعمة القرآن، والحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على بعثة خير الأنام، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الغر المحجلين والحمد لله في الأولى والآخرة، والحمد لله في كل وقت وفي كل حين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (رؤية جديدة)

نعيش مع السطور التالية في ظلال آية من آيات القرآن الكريم لنرى الإعجاز العلمي فيها قال تعالى : (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ {٢٠} وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ {٢١} وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ)[1].

قال المفسرون :

إن الشجرة هي شجرة الزيتون، وأن في ثمارها ما ينتفع به من الدهن والأصباغ وقال ابن عباس رضي الله عنه ألم تر أن الرجل أبيض وأحمر وأسود .

ومن التفسير السابقين نفهم أن شجرة الزيتون تعطي ثماراً (الزيتون) وأن هذه الثمار بها دهن (زيت الزيتون) وصبغ للآكلين .

وهذا يعني أن ثمار الزيتون بها أصباغ للآكلين وأرجع ابن عباس رضي الله عنه لون البشرة في الناس إلى هذا الصبغ الموجود في ثمار شجرة الزيتون التي تخرج من طور سيناء وتنبت بالدهن وصبغ للآكلين وقال المفسرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طور سيناء وتنبت بالدهن وصبغ للآكلين وقال المفسرون : أنها شجرة الزيتون .

وهذا كلام عين الحق وقمة الإعجاز النباتي في القرآن الكريم والقرآن كله معجز .

فإذا حللنا ثمار الزيتون بالطرق العلمية الحديثة في التحليل سنجد بها علاوة على الدهن كميات من الأحماض الأمينية (وهي الأحماض التي ترتبط مع بعضها البعض في سلسلة ببتيدية طويلة لتكون البروتين).
بعض هذه الأحماض تسمى بالأحماض الأمينية الأساسية وهي الأحماض الأمينية التي يمرض الإنسان إذا لم يتناولها في طعامه لمدة طويلة أحد هذه الأحماض الأمينية الأساسية هوحمض الفنيل ألانين وهذا الحمض موجود في ثمار الزيتون (وهذا ما استنتجته من الآية نفسها) وله دوراً أساسي في إعطاء لون البشرة ولون رموش الأعين ولون الشعر في الإنسان .

ولكن كيف يحدث ذلك علمياً ؟

يتناول الإنسان الحمض الأميني فنيل ألانين في الطعام فيتحول إلى تيروزين والتيروزين يتحول إلى الميلانين والميلانين هوالمادة الكيميائية الحيوية التي تصبغ جلد وشعر ورموش الإنسان عندما تترسب في بعض طبقات الجلد والشعر والرموش .

من الخطوات السابقة نفهم أن شجرة الزيتون تعطي ثماراً ،هذه الثمار بكل تأكيد بها الدهن والصبغ للآكلين كما قال تعالى :(وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين).

وهذه العظمة في العطاء العلمي القرآني فمن كان يعلم من العباد أن شجرة الزيتون تعطي أصباغاً للآكلين .

حتى المفسرون عندما قالوا إن فيها ما ينتفع به من الدهن والأصباغ معتمدين على التفسير اللفظي ــ لم يكونوا يعلمون ما أوضحناه ونحن العلميين المتخصصين لم نكن نربط بين التركيب الكيميائي الحيوي لمنتجات شجرة الزيتون ولون البشرة لولا أن القرآن الكريم أنبأنا بذلك وفسر لنا ذلك ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه.

هل كان ابن عباس عالماً في الطب والكيمياء الحيوية وعلم النبات وأيضاً الكائنات الحية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإنسان حتى يقول هذا الكلام العلمي الأكيد ، ويوجز هذه العمليات العلمية في قوله رضي الله عنه (الم تر أن الرجل أبيض وأحمر وأسود) .

ولقد فهمت أيضاً وبعد سنوات من الفهم العلمي السابق أن شجرة الزيتون عندما تنبت في بداية حياتها فإنها تستغل الدهن الموجود بالبذور والذي يحوله الجنين إلىمواد كربوهيدراتية خلال دورة جليكزوليت (Glyxlate) المكتشفة سنة ١٩٥٧ م.

وفي هذه الدورة يعتمد الجنين في إنباته على الدهن المخزن الذي يتحول في الدورة إلىمواد كربوهيدراتية وخلات نشطة وهذا إعجاز آخر في الآية .

وحتى تكتمل الصورة في التفسير الأول نقول: أن الفارق بين الرجل الأوروبي الأبيض والرجل الأفريقي الأسود والرجل القمحي اللون هو فارق في كمية صبغ الميلانين في طبقات الجلد الملونة .

الرجل الأبيض والرجل القمحي عندما يتعرضا لأشعة الشمس مدة طويلة يسمر لون الجلد عندهما وتزداد كمية الميلانين في الجلد .

الأسوداد والسمرة نعمة من الله على عباده الذين يعيشون في البلاد الحارة المشمسة لأن اللون الأسود يحميهم من أشعة الشمس الضارة بهم ، وإذا غاب هذا اللون الأسود أصيبوا بسرطان الجلد.

قال تعالى :(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)[2].

فانظر كيف ربط الله سبحانه وتعالى بين خلق السموات والأرض واختلاف الألوان وذلك لأهمية هذا الاختلاف اللوني وعظمته التي تقارب عظمة خلق السموات والأرض ولذلك ربط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله سبحانه وتعالى بينهما في الآية .

والذي يتحكم علمياً في عملية تحويل الفنيل الانين الموجود بثمار الزيتون إلى التيروزين ثم الملانين في الجسم هو الأنزيمات هذه الأنزيمات تتحكم فيها العوامل الوراثية المسماة بالجينات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان .

والذي يتحكم أيضاً في عملية تحويل الدهن إلى مواد غذائية أخرى في جنين بذور الزيتون هو الأنزيمات التي يتحكم فيها أيضاً العوامل الوراثية المسماة بالجينات في النبات والتي أودعها الخالق سبحانه وتعالى في النبات .

الرجل الأبهق : (عدو الشمس ــ الألبينو) عنده خلل وراثي يؤدي إلى غياب الأنزيمات المتحكمة في تكوين الميلانين في جسمه ، فيصبح أبيض الجلد والشعر والرموش ولا يقاوم أشعة الشمس .

وبذور الزيتون التي لا تعطي الأنزيمات المحللة والمحولة للدهن المخزن فيها فتحوله من دهن إلى خلات وتحوله إلى طاقة ، إذا غابت لسبب وراثي فإن البذور لا تنبت ولا يقاوم أشعة الشمس .

وبذور الزيتون التي تعطي الأنزيمات المحللة والمحولة للدهن المخزن فيها فتحوله من دهن إلى خلات وتحوله إلى طاقة إذا غابت لسبب وراثي فإن البذور لا تنبت ولا تخرج الأشجار .

فهل كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عالماً بعلوم الوراثة والخلية والكيمياء الحيوية ، والنبات ، والتحلل الكيميائي حتى يوجز هذه العمليات الحيوية والتي مسسناها مساً في هذا الموضوع في كلمات معجزة موجزة جامعة هي : (تنبت بالدهن ، وصبغ للآكلين) في قوله تعالى : (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ).

أم أنه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، الذي لا تنتقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد ، والمعجزة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

المصدر كتاب آيات بينات من القرآن و عالم النبات
تأليف الدكتور نظمي أبو العطا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com